

أهمية التوبة (خطبة)



أ. عبدالعزيز بن أحمد الغامدي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 25/3/2017 ميلادي - 26/6/1438 هجري

الزيارات: 30739

أهمية التوبة

الخطبة الأولى

أما بعد: فاتقوا الله - عباد الله - حقَّ التقوى، فتقوَى الله الجليلِ عدَّةٌ لكلِّ شِدّة، وحِصنٌ أمين لمَن دخلَه، وجُنَّةٌ من عذابِ الله.

واعلَموا - عبادَ الله - أنَّ رَبَّكم خَلَق الإنسانِ معرَّضًا للخطِيئَات، مُعرَّضًا للتَّقصير في الواجبات، فتفضل علينا بمضاعفة الحسناتِ، ولم يضاعِف علينا السَّيِّئات، قال الله تَعَالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: 160]، وعَنِ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إنَّ اللّهَ كَتَبَ الحسناتِ والسيِّئات، فمَن همَّ بحسنةٍ فلَم يعمَلْها (يعني حِيل بينه وبين عملها) كتبَها الله عندَه حسنةً كَامِلة، فإن عمِلَها كتبها الله عندَه عَشرَ حسنات، إلى سَبعِمائة ضِعف، إلى أضعَافٍ كثيرة، فإن هَمَّ بسيّئة فلم يعملْها (يعني خوفا من الله) كتبَها الله حسَنةً كامِلة، فإن عمِلها كتبها الله عندَه سيّئة واحدَة)) رواه البخاريّ.

فَشَرَع الله لكَسبِ الحَسَنات طُرُقًا للخَيرَات وفَرَائِضَ مكفِّراتٍ لِلسَّيِّئاتِ رَافِعةً للدّرَجات، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عَن رَسول الله - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((الصَّلواتُ الخمسُ؛ والجُمعة إلى الجُمعة؛ ورَمَضَانُ إلى رَمَضَان؛ مكفِّراتٌ لما بينهنّ؛ إذا اجتُنِب الكبائر)) رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود: 3].

ومما شرعه الله وأمر به التوبة؛ فهي واجِبَةٌ على كلِّ أَحَدٍ مِن المسلِمين، فالوَاقِعُ فِي كبيرةٍ تجِب عليه التّوبةُ لئلاّ يَبغَتَه الموتُ وهو على المعصيةِ، والوَاقِعُ في صغيرةٍ تجِبُ عليه التّوبة لأنّ الإصرَارَ على الصّغائر يؤدي بها للكبائر، والمؤَدّي للواجِبَاتِ التَّارِكُ للمحرّمات تجب عليه التّوبة أيضًا لما يَلحَق العَمَلَ مِن الشّروطِ وانتفاءِ موانِع قبولِه، وما يُخشَى على العامِلِ مِنَ الشّوائب التي تردُّ العملَ، عن الأغرّ بن يسار المزنيّ - رضي الله عنه - قالَ: قالَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((يَا أيّها النّاس، توبوا إلى اللهِ واستغفِروه، فإنّي أتوبُ في اليَومِ مائَةَ مَرَّة)) رواه مسلم.

والتّوبةُ - يا عبادِ الله - مع ما فيها من مغفرة الذنوب فهي بابٌ عَظيم تَتَحقّق بِهِ الحسناتُ الكَثِيرةُ العَظِيمة التي يحبّها اللهُ؛ لأنّ العَبدَ إذا أحدَث لكلّ ذَنبٍ يقَع فيه توبةً كثُرَت حسناتُه ونَقَصَت سيّئاتُه، قالَ الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: 68 - 70].

عباد الله، تَذَكَّرُوا سَعَةَ رَحمةِ اللهِ وَعَظيمَ فَضلِه وَحِلمِه وَجودِه وكَرَمِه، حَيثُ قَبِل تَوبَةَ التَّائبين، وأقالَ عَثرةَ المذنِبين، ورَحِم ضَعفَ هذَا الإنسانِ المِسكين، وأثابَه على التَّوبةِ، وَفَتَحَ له أبوَابَ الطّهارةِ والخيرات، عن أبي موسَى الأشعريّ - رضي الله عنه - عنِ النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إنَّ الله تَعَالى يَبسُط يدَه باللّيلِ ليتوبَ مُسيء النّهار، ويبسُط يدَه بالنّهار ليتُوبَ مسيءُ اللّيل)) رواه مسلم.

إخوة الإيمان إن التّوبةَ من أعظمِ العباداتِ وأحبِّها إلى الله تعالى، مَن اتّصف بها تحقّق فلاحُه، وظهَر في الأمورِ نجاحُه، قال اللهُ تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص: 67].

وكفى بفضلِ التّوبةِ شرَفًا فرحُ الرّبِّ بها فرَحًا شديدًا، عن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قالَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((للهُ أشدُّ فَرَحًا بتوبةِ عبدِه من أحدِكم إذا استيقظ على بعيره قد أضله بأرضِ فلاة)) رواه ومسلم.

أيها المؤمنون إن التّوبةُ عبادةٌ للهِ بالجَوَارحِ والقلبِ، واليومُ الذي يَتُوبُ الله فيه على العَبدِ خيرُ أيّامِ العُمُر، والسّاعة التي يفتَح فيها الربُّ لعَبدِه بابَ التّوبة ويَرحمُه بها أفضلُ ساعاتِ العُمر؛ لأنّه قد سلك بذلك طريق السعادة في الدنيا والآخرة.

إخوة الإسلام، قال أهلُ العِلم: إذا كانَتِ المعصيةُ بينَ العبدِ وربّه لا حقَّ لآدميٍّ فيها فشروطُها أن يُقلِعَ عن المعصيةِ وأن يندَمَ على فعلِها وأن يعزمَ أن لا يَعودَ إليها، وإن كانتِ المعصيةُ تتعلّق بحقّ آدميٍّ فلا بدَّ مع هذه الشّروط أن يؤدّيَ إليه حقَّه أو يَستَحِلّه منه بالعَفو.

والتّوبة من جميعِ الذّنوب واجبَة، وإن تَابَ المذنب مِن بَعضِ الذّنوبِ صَحّت توبتُه من ذلك الذّنبِ،وبقيَ عليه ما لم يتُب مِنه.

فتوبوا إلى الله أيّها المسلمون، وأقبِلوا إلى ربٍّ كَريم، أسبَغَ عليكم نِعَمَه الظاهرةَ والباطِنَة، وآتاكم من كلِّ ما سألتموه، ومَدَّ في آجالِكم، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: 8].

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

أمّا بعد: فاتَّقوا الله تعالى بلزومِ طاعته، واخشَوا عذابَه وعقوبتَه فقوموا بما أوجب الله، وابتعدوا عما حرم.

عبادَ الله، لقد وهب الله لنا الآجالَ، ومكَّننا من صالح الأعمال؛ لنجعلها وسيلةً إلى مرضاةِ ربّنا ذي العزّة والجلال، فبالعمل الصالح يتقرَّب العباد، وبه تتطهَّر القلوب من الزّيغ والفساد، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: 37].

واعلَموا عباد الله أنَّ وراءَكم طالبًا حثيثًا لن تفوتوه، لا تدرونَ متى يَفجَأ أحدَكم؛ ألا وهو الموتُ، عندئذ يتمنَّى المرء لو فُسِحَ له في أجله ليصلحَ من عمله، ويتوبَ إلى ربه، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: 99، 100].

اللهم اغفر لنا وتب علينا.

اللهم اعف عنا وتجاوز عنا.

اللهم وفقنا واشرح صدورنا للتوبة النصوح.

اختصار ومراجعة: الأستاذ عبدالعزيز بن أحمد الغامدي
